﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف: 39]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الرَّبط بين ثنايا القصَّة، لإقامَةِ الدَّليلِ عَلى صحَّة التَّوحيد

لَمَّا أقامَ يوسُفُ عليه السلام الأدلَّةَ على ما يدينُ اللّه تَعالى بهِ من الدِّين الحنيفِ اتِّباعًا لصفْوَةِ الخَلْقِ من الأنبياءِ؛ أتبَعَهُ بدليلٍ على فسادِ كُلِّ ملَّةٍ غيرِ ملَّةِ الإسْلامِ الّذي يدعو إليه كلُّ الرّسل والأنبياء، فقال سُبحانَهُ حكايةً عَنْهُ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَٰصَٰحِبَيِ﴾: الصّادُ والحاءُ والباءُ تدلُّ تصريفاتُها على مقارنَةِ شيءٍ ومقارَبَتِه[2]، ومنهُ الصّاحبُ، وهوَ المُلازِمُ، سواءٌ أكانَ إنْسانًا أم حَيوانًا أم مَكانًا أم زَمانًا، من غيرِ فَرْقٍ بَيْنَ أنْ تَكونَ مُصاحَبَتُه بالبَدَنِ - وهوَ الغالبُ والأصلُ - أوْ بالعِنايةِ والهِمَّةِ.

ولا يُقال في العُرف إلّا لمَن كثُرت ملازمته، والمصاحبةُ والاصطحاب أبلغُ من الاجتماع؛ لأنَّ المُصاحبة تقتضي طولَ لُبثه؛ فكل اصطحابٍ اجتماعٌ، وليس كلُّ اجتماعٍ اصطحابًا[3].

وقولُ اللّه سُبحانَه: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ أي: يا ساكِنَيِ السِّجن، وسُمّوا أصحابًا له؛ لملازَمَتِهم لَهُ[4].

2) ﴿ءَأَرۡبَابٞ﴾: الرَّاءُ والبَاءُ تَدورُ تَصاريفُهَا علَى مَعانٍ، منهَا: إِصْلَاحُ الشَّيءِ والقِيَامُ عَلَيْهِ، ومنهُ يُقَال: رَبَّ فلانٌ ضَيْعَتَه؛ إِذَا قامَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/87.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صحب).
(3) الرّاغب، المفردات: (صحب).
(4) النّسفيّ، مدارك التنّزيل: 2/111.

علَى إصْلَاحِهَا[1]، ومنهُ: التَّربيَةُ؛ وهِي إنشاءُ الشَّيءِ حالًا بعْدَ حالٍ إلَى حدِّ التَّمام، ولَا يكونُ ذلكَ إلَّا بإصْلَاحٍ وعنايَةٍ[2].

ومنهُ سُمِّي الرَّبَّانيّون بِهَذَا الاسْم؛ لقيَامِهِم بتَدْبير أُمورِ النَّاسِ وإصْلَاحِهَا[3].

ويُطْلَقُ الرَّبُّ بِمَعْنَى المعبودِ؛ وذلك لِمَا فِيه مِن وصْفِ إصْلَاحِ عَابدِيهِ وقِيامِه علَى تدْبيرِ شؤونِهم، ولا يُطْلَقُ مُعرَّفًا باللَّام إلَّا علَى اللّه سُبْحَانَهُ، وجمع الرَّبِّ: أرباب، قال تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، ولم يكن من حقِّ لفظ (الرّبِّ) أن يُجمع إذا كان إطلاقه لا يتناول إلّا اللّه تعالى؛ لكن أتى بلفظ الجمع فيه على حسب اعتقاداتهم لا على ما عليه ذات الشّيء في نفسه[4].

3) ﴿مُّتَفَرِّقُونَ﴾: الفاءُ والرّاءُ والقافُ تدلُّ اشتقاقاتُها على تمييزٍ بين شيئَيْن[5]، ومنه سُمِّيَ القرآنُ الكريم فُرْقانًا؛ لأنَّه يُمَيِّزُ بينَ الحقِّ والباطلِ[6]، وسُمِّيَ عُمَرُ ﷺ (الفاروقَ) لذلكَ[7]، والمُرادُ بقولِ اللّه تَعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾؛ أيْ: أَأَربابٌ شَتّى خيرٌ؟[8].

4) ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: القافُ والهاءُ والرّاءُ تدورُ اشْتِقاقاتُها على مَعْنى الغَلَبةِ والعُلوِّ[9]، يُقالُ: أخَذَ فلانٌ فلانًا قَهْرًا؛ إذا أخَذَهُ من غَيْرِ رِضاهُ[10]، ومن أسماءِ اللّه القَهّارُ؛ وهو الّذي قَهَر خلقَهُ بقدرتِهِ وسُلطانِهِ، فصرَّفهم على ما أرادَه طوعًا أو كَرْهًا[11]، وهو الّذي خضَعت له الرّقابُ، وَذلَّت له الصِّعابُ؛ فَلا يَحْدُث حادِثٌ ولا يَسْكُن ساكِنٌ إلّا بِإذْنِه، وما شاءَ كانَ، وَما لَمْ يَشَأْ لَم يَكُنْ[12].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رب).
(2) الرَّاغب، مفردات ألفاظ غريب القرآن: (رب).
(3) نَشوان الحِمْيَرِيّ، شمس العلوم: (رب).
(4) الرَّاغب، مفردات ألفاظ غريب القرآن: (رب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فرق).
(6) ابن دُريد، جمهرة اللّغة: (فرق).
(7) ابن سِيده، المُخصَّص: 3/409.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 16/104.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ونشوان الحِميريّ، شمس العلوم: (قهر).
(10) الخليل بن أحمد، العين: (قهر).
(11) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قهر).
(12) سعد القطحانيّ، الثّمر المُجتنى، ص: 56 - 57.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تعـدُّد الأربـابِ دليلُ بطلانها، وتهافت الشِّرك وتهاويه

بيَّنت الآيةُ تلطُّفَ يوسفَ ﷺ في حسن الاستدلالِ على فساد ما عليه قوم الفَتَيَيْن من عبادة الأصنام الّتي اتخذوها شركاء من دون اللّه، فقال لهم: أعبادَةُ أَرْبابٍ شَتّى مُتَفَرِّقين ما بينَ أشجارٍ وأحجارٍ وملائكةٍ وأمواتٍ، وآلهةٍ لا تَنْفَعُ، ولا تضُرُّ، ولا تُعطي، ولا تَمنع: خيرٌ، أَم عبادَةُ المعبودِ الواحدِ في ذاته وصفاته وأفعاله الّذي لا ثانيَ لَهُ في قُدْرته وسُلْطانه، فهو الّذي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ فَذَلَّله وسخَّره، فأطاعَهُ طوعًا وكرهًا؟[1].

وتُرشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى وجوبِ اغتنامِ الفُرصِ للدّعوة إلى اللّه تعالى، وإلى إقامة الدَّليل لصاحبَي السِّجن على فسادِ الشِّرك، وإلى أَنَّ يوسفَ ﷺ لم يتعجَّل إجابةَ صاحبَي السِّجن بتفسير حلميهما كما طلبا، بل بدأَ يمارسُ معهما ما أعدَّه اللّه له من النُّصح والإرشادِ لعباده، والهدايةِ إلى توحيده وعبادته، كما هو شأن آبائه المُرسلين ﷺ، وإلى أنَّ مِن المعلوم أنَّ مَن له صفاتُ الكمالِ في ذاته وصفاتِه وأفعاله، فلا شريك له، وهذا شأنُه ووصفُه خيرٌ من الآلهةِ المُتفرّقةِ الّتي هي مجرَّدُ أسماءٍ، لا كمالَ لها ولا أفعالَ لديها[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الفَصْلِ:

تنـويـع الجُـمل بـين الإنـشـاء والـخـبر، ملمحٌ بيانيٌّ أصيل

فُصِلَ قولُ اللّه ﷻ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ﴾، عمّا قَبْلَهُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا ابتدائيًّا، وقد صُدِّر بتوجيهِ الخطابِ إلى الفَتَيَيْنِ عَنْ طريقِ النِّداءِ[3] المُسترعِي سمعُهما إلى ما يقوله؛ للاهتمام به، وحسَّنَ الفصلَ، وقوّاهُ مجيءُ الجملةِ في الآيةِ إنشائيَّةً،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/104، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 398.
(2) مجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 4/325، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 398.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/274.

بخلافِ الجملَةِ الّتي قَبْلَها، فإنَّها خبريَّةٌ، والغالبُ تَرْكُ عَطْفِ الإنشاءِ على الخَبَرِ.

نُكْتَةُ أُسْلوبِ النِّداءِ، وأثرها في السّياق:

اسْتِرْعاءُ سَمْعِ المُخاطَبِ، مقصدٌ في البلاغ مُبين

وَجَّه يوسُفُ ﷺ الخطابَ لَهُما بأسلوبِ النِّداءِ في قوله: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ اسْتِرْعاءً لِسَمْعِهما إلى ما يقولُهُ[1]، وذلك لجلالَةِ المقولِ لَهُما؛ إذْ تعلَّق بأعظَمِ حقيقَةٍ، وهي توحيدُ اللّه سُبحانَهُ، ومجانبةُ الشِّرْكِ بِهِ، ولأنَّ النِّداء يكون فيما له وقعٌ عظيمٌ في النُّفوس، وتتمحَّض فيه النَّصيحة.

سِرُّ النِّداءِ بـ (يا):

للفظ المواساة والتّلطُّف أثرٌ بالغ في مسح الأحزان في الأزمات الشِّداد

جاءَ النِّداءُ بـ (يا) في قولِ اللّه سُبحانَهُ - صَدْرَ الآية الكريمة - حكايةً عن يوسُفَ ﷺ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾، وهي أداةٌ تُستعمَلُ في الأصْلِ لنداءِ البَعيدِ، والحالُ أنَّ الفَتَيَيْنِ قَريبانِ، وذلكَ لِلإيماءِ إلى غفلَتِهما عمَّا يُوَجَّهُ إليهما، وهَيمانِهما في شِعابِ الضَّلالِ، وفيه إشارةٌ أيضًا إلى عَظَمَةِ مضمونِ النِّداءِ[2] لما له من وقعٍ خاصٍّ في نفس صاحبَي السِّجن من إزالة المرارة الّتي يعيشونها في هذا الظَّرف العصيب، فهم في حاجة إلى كلِّ لفظ جميل يَحمل معنى التَّكريم لهما.

نُكْتَةُ نِدائِهما بـ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾:

التَّوَسُّلُ بِحُسنِ اللَّفظِ إلى ما يُؤَدّي إلى قَبولِ الوَعْظِ، منهج في البيان أثير

في نداءِ يوسُفَ ﷺ الفَتَيَيْنِ بوصفِ صُحْبَتِهما السِّجْنَ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾؛ لكونِ السِّجْنِ مكانًا شاقًّا، تكثُرُ فيه الأحزانُ، فَتَصْفو فيه المودَّةُ، وتتمَحَّض النَّصيحةُ، فكأنَّ المَعنى: يا ساكنَيْ هذا المكان الشّاقِّ إنّي ذاكرٌ لكما أمرًا، فقولوا فيه: الحقَّ، ولا تَعْدلوا عن ذلكَ؛ إذْ أَنْتُم في شدَّةٍ، ولا يَنْبَغي لِمَنْ كان هكذا أن يَميلَ عَنِ الحقِّ[3]. فكان

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/274.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/87، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/434، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/274.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/434.

في ندائِهما بذلك تحبُّبٌ إليهما وتودُّدٌ؛ لأنَّ النُّصح فيه ألمٌ نفسيٌّ، فمن الحكمة في النّاصح أن يصحبه بجميل العبارات ولطيف المعاني، وممّا يذكر في سرِّ ندائهما بهذا الوصفِ دونَ اسمَيْهما، إمَّا لعدَمِ علمِهِ بِهِ؛ لكونِ هذا الحوارِ حاصلًا بعدَ دخولِهما بيسيرٍ، قبلَ أن تطولَ العِشْرَةُ بينهُما وبينَه، وإمّا لِلْإيذانِ بِما حَدَثَ مِنَ الصِّلَةِ بَيْنَهُما، وهي صِلَةُ المُماثَلَةِ في الضَّرّاءِ والإلْف في الوَحْشَةِ؛ لكونِ الموافقَةِ في الأحوالِ من جُملةِ الصِّلاتِ الَّتي تقومُ مقام صِلَةِ القرابَةِ، أَوْ تزيدُ عليها[1].

دِلالَةُ الإضافَةِ في: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾:

إضافةُ لفظِ الصّاحبَيْنِ إلى السِّجْنِ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾، والمُراد به المكان الّذى يُسجن فيه المُعاقَبون؛ لأنَّ الصّاحب لا يُضاف إلى السِّجن إلّا بمعنى المكان؛ فأضيف لكونهما ساكِنَيْهِ، كما في (أَصْحابِ الجَنَّةِ)؛ لِكَوْنِهم ساكنيها[2]. ويجوزُ أَن تَكون الإضافَةُ من الإضافة إلى الظَّرْفِ، بمعنى: يا صاحبيَّ في السِّجْنِ، كما يُقال: يا سارِقَ اللَّيلَةِ، والمعنى: يا سارقًا في اللَّيلةِ؛ إذِ اللَّيلَةُ ليسَتْ بمسروقَةٍ، وإنَّما هي مسروقٌ فيها[3].

المُساكنة إلفٌ وعِشرة، ولظرف المكان تأثيرٌ في الوجدان

معنى الاسْتِفْهامِ في: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾:

الهمزةُ في ﴿ءَأَرۡبَابٞ﴾ من قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ همزةُ استفهامٍ، والاستفهامُ ههنا خارجٌ عن أصلِهِ؛ إذْ لا يُرادُ به طلبُ العِلْمِ بشيءٍ لَم يكن معلومًا من قبلُ، وإنَّما المُرادُ به الإنكارُ مَع تقريرِهما بإبطالِ ما هُما عليهِ مِنَ الدّيانَةِ[4] بقوله: ﴿ءَأَرۡبَابٞ﴾، فأبرز ذلك في صورة

من طُرُقِ الدَّعْوَةِ إلى الله إبْطالُ ما عَلَيْهِ أَهْلُ البَاطِلِ مِنَ الدِّيانَةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/274.
(2) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/245، والقُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/329.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/278، والخازن، لباب التّأويل: 2/529.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/458، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 10/87، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/274.

الاستفهام حتّى لا ينفر طبعُهما من المفاجأة بالدَّليل، من غير استفهام، فمن فقه الدَّعوة أنْ يُؤخذَ الجاهلُ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يتقبَّلها، فإذا قبلها ترقَّى معه الدّاعي إلى غيرها، ثمَّ كذلك أبدًا حتّى يصلَ إلى الحقِّ، وإنْ أُخِذ الجاهلُ بجميعِ المذهب الّذي يُساق إليه دفعةً؛ أباهُ وعانَدَه[1]. وفي هذا بيانٌ لدور الاستفهام في عرض الدَّعوة على المَدعوِّ من حمله على المشاركة بإعمال عقله، وإشعاره بكيانه الفكريِّ.

سِرُّ التَّعبيرِ بِـ ﴿ءَأَرۡبَابٞ﴾:

آثر القرآنُ الكريم التَّعبير بلفظ ﴿ءَأَرۡبَابٞ﴾ دون (آلهة)، في قولِ اللّه ﷻ: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾؛ بناءً على زعمهم واعتقادهم فيها، وفي هذا تنفيرٌ لهم من عبادتهم للأرباب؛ لأنَّ الإقرار بربوبيَّته سبحانه، المُتمثِّل في الخَلقِ والملكِ، والتّدبيرِ أمرٌ أقرَّ به جميع الخلق، ولم يُنكره إلَّا المُكابر، فكان التَّعبير بلفظ ﴿ءَأَرۡبَابٞ﴾؛ لتنفيرهم من عبادتهم لها.

تبشيعُ مظاهر الشِّرك، مسلكٌ تربويٌّ في القرآن الكريم

دلالَةُ الوَصْفِ: ﴿مُّتَفَرِّقُونَ﴾:

وُصِفَتْ معبوداتُ المُشْركينِ بالتَّفرُّقِ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ للإشارَةِ إلى اختلافِها كِبَرًا وصِغَرًا، ولونًا وشكلًا، وذلك بسَبَبِ أنَّ صانِعَها وناحِتها يَجْعَلُها على تِلْكَ الصّورَةِ، فكان في وصفِها بالتَّفرُّقِ إيماءٌ إلى كونِها عاجزةً مقهورةً مغلوبَةً، ولذا جُعِلَ ذلك مُقابلًا لوصفِ اللّه سُبحانَهُ بالقهّارِ[2].

عَجْزُ المَخْلوقاتِ وَتَقاصُرُها عَنْ مَقامِ الرُّبوبِيَّةِ الأسمى

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ أحوال الأرباب المُتفرِّقة ما بين أشجارٍ وأحجارٍ وملائكةٍ وأمواتٍ، وغير ذلك من أنواع المعبوداتِ الّتي يتَّخذُها المشركون، الّتي يعتريها الفساد، ويتطرَّق الخَلل إليها؛ لأنَّ

(1) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/245.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/458.

وصف التَّفرُّق يحمل في طيّاته معنى الضَّعف والعجز، فبنية اللَّفظ تُبطل عبادَتها.

علَّةُ التَّعبير بصيغة الخيريَّة:

التَّنَزُّلُ في الجِدالِ وَالمُحاوَرَةِ، مسلك مقنع، لإلْزامِ المُخالِفِ بالحُجج

آثر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بـ ﴿خَيْرٌ﴾ من قولِ الله ﷻ: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾؛ لأنَّ البعض عَدَّه من باب أفعل التَّفضيل، وأصلُهُ: (أَخْيَرُ)، وهذه المفاضَلةُ بينَ الأرباب وبينَ الله ﷻ خرَجَتْ على سبيلِ الفَرضِ والتَّقديرِ، والمَقصود: لَو سلَّمنا أنَّه صدَرَ مِنَ الأرباب ما يَقْتَضي الخيرَ، فهلَ هي خيرٌ أَمِ الله الواحدُ القهّارُ؟[1].

وممّا يُذكر في هذا المقام أنَّنا إذا وضعنا لفظ ﴿ءَأَرْبَابٌ﴾ ووصْفَها بالتَّفرُّق في كفَّة، وفي الكفَّة الأخرى جاء التَّعبير القرآنيُّ بلفظ ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾، موصوفًا بصفة القهّار؛ لوجدنا أنَّ التَّعبير بلفظ ﴿خَيْرٌ﴾، يدعو السّامِعَيْنِ في السِّجن للإجابة عن هذا الاستفهام، فإذا رفضوا تلك المقارنة؛ كان ذلك اعترافًا ببطلان ما هم عليه، وإذا لم يرفضوا، وقارنوا؛ فإنَّ هذا الحوار يسوقهم إلى اكتشاف ما هم فيه من الباطل، فكان للتّعبير بهذا اللَّفظ أثره النَّفسيُّ عند الفتيَيْن المسجونيْن، من رفع الرّوح المعنويَّة عندهما.

بَلاغة أُسلوبِ الحوار، وأثرها في الموضوع المُثار:

قوَّةُ حُجَجِ أَهْلِ الحَقِّ، سبيلٌ لإثْباتِ تَوْحيدِ الله سُبْحانَهُ

في قولِ الله ﷻ: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، تقرير لإبطال ما هُما عليه منَ الدّيانَة بالحُجَّة العقليَّة، المُسمّاة عندَ جماعة منَ البلاغيّين بالمذهب الكلاميّ، وتسميتُها بَحثًا أَولى[2]، وتقريرُ هذه الحُجَّة أنَّه رتَّب لهما الاستدلالَ على طريقَة الخَطابَة؛ لأنَّها أقربُ لفَهم عامَّة النّاس، فَفَرَضَ لهُما إلهًا متفرّدًا بالرُّبوبيَّة والأُلوهيَّة كما هو اعتقادُ الملَّة التَّوحيديَّة الَّتي أخبرَهُم بها، وفَرضَ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/459.

(2) ابن عبد الحقّ العُمريّ، درر الفرائد المُستحسنة في شرح منظومة ابن الشِّحنة، ص: 443.

لَهُما آلهةً مُتفرّقةً، كلّ منها يتصَرَّف في أشياءَ مخصوصة، من أصناف الموجودات لا يتعدّاها إلى غَيره، كما هو اعتقادُ ملَّة القبط، ثُمَّ فرضَ لَهُما أمرًا مُركَّبًا منَ الحالَين المتقدّمَين؛ وهو المفاضلَةُ بين حال الإلَه المتفرّد بالرُّبوبيَّة والألوهيَّة والأحوال المختلفَة المتفرّقة، للآلهَة المتعدّدَة؛ ليتوصَّلَ بذلكَ إلى إلزامهما بأنَّ حالَ المُتفرّد بالرُّبوبيَّة والألوهيَّة أَعظَمُ وأجلُّ، فيَرجعان عن اعتقادهما الشّركيّ إلى الاعتقاد الحقّ[1].

دلالَةُ تَنْكِير: ﴿خَيْرٌ﴾:

نفيُ الخيريّة عن الأربـاب مـن أيِّ وجهٍ مِن الوجوهِ

نُكِّرَ لَفظُ ﴿خَيْرٌ﴾ من قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾؛ للدَّلالة على نفي الخيريّة عن الأرباب مطلقًا، فلا خير فيها في أيِّ وجهٍ مِنَ الوجوهِ وأيِّ حالٍ منَ الأحوالِ لكما ولغيركما في كلِّ ما تطلبون وتحتاجون إليه.

غرضُ وصف لفظ الجلالة بـ ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾:

إعلان وحدانيته من آثار صفاته، وكمال ألوهيّته

خُتِمت الآية القرآنيَّة بوصف اللّه سبحانه بـ ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، في مقابلة قوله تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ فوصْفُ سبحانه بالواحد القهّار في غاية التَّناسب؛ لأنَّه قابلَ تفرُّق الأرباب بوصف ﴿ٱلْوَٰحِدُ﴾ الَّذي ينفي تعدُّد الآلهة، والّذي لا شبيه له ولا نظير، فهو الكاملُ في جميع صفاته وأفعالِه، وبوصف ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ ما يدلُّ عليه لفظ التَّفرُّق من العجز والضَّعف، ويكون المعنى: أمتعدِّدون سمّيتموهم أربابًا، وهم عَجَزَةٌ مقهورون خيرٌ أم اللّه الواحد الّذي يستحيل عليه التَّكثُّر بوجهٍ من الوجوه، القهّار الّذي لا موجود إلّا وهو مُسخَّر تحت قدرته؟[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/274 - 275.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/244.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الواحِدُ والأَحَدُ:

الـواحِـدُ هـوَ المُنْفَرِدُ بِالذّاتِ في عَـدَمِ المِثْـلِ وَالنَّظيرِ

ذهبَ بعضُ أَهْلِ العربيَّةِ إلى أنَّ الواحِدَ والأَحَدَ بمعنًى واحدٍ[1]، ومالَ آخرونَ إلى التَّفريقِ بينَهما، وحاصِلُ الفَرْقِ يرْجِعُ إلى أَوْجهٍ[2]: أحدُها: أنَّ الأحدَ أخصُّ مِنَ الواحِدِ، فإنَّ الواحِدَ يدخلُ في الأحَدِ، من غيرِ عكسٍ. ثانيها: أنَّ الأَحَدَ أقْوى في النَّفْيِ، وذلك لأنَّك إذا قُلْتَ: فلانٌ لا يُقاوِمُهُ واحدٌ؛ جاز أن يُقال: ولكِنْ يُقاوِمُهُ اثنانِ، بخلافِ الأحدِ، فإنَّك إذا قلتَ: فلانٌ لا يُقاوِمُهُ أحدٌ، لَمْ يَجُزْ أَنْ تقولَ: لكِنْ يُقاوِمُهُ اثنانِ. ثالثُها: أنَّ الواحِدَ هوَ المُنْفَرِدُ بالذَّات في عَدمِ المِثْلِ والنَّظيرِ، والأحدَ هو المُنْفَرِدِ بالمَعْنَى.

وذكرَ بعضُ أهلِ العِلْمِ فرقًا آخرَ: وهوَ أنَّ الواحد يُستعمَلُ في الإثباتِ، والأحدَ في النَّفْيِ[3]، وهذا الفرقُ فيه نظَرٌ، ويردُّه قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1]. وفرَّق بينَهُما ثعلبٌ: بأنَّ الواحِدَ يَدْخُلُ في العَدَدِ، بخلافِ الأَحَدِ، فإنَّهُ لا يَدْخُل فيهِ، إلَّا أنَّ أبا حَيَّان اعترضَ عليه بِأَنَّهُ يصحُّ أن يُقالَ: أَحَدٌ وَعِشْرونَ ونحوُهُ، فَدَخَلَهُ العدَدُ[4].

(1) الخليل بن أحمد، العين: (وحد).
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/359 - 360، وابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: (وحد).
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/360.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/571، والقِنّوجيّ، فتح البيان: 15/447.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»